



من المقاربة البنيوية إلى المقاربة التداولية

قراءة في بعض آليات إنتاج الدلالة في الخطاب المسرحي المعاصر

From the Prophetic Approach to the Pragmatic
Approach A Reading of Some Mechanisms of Meaning
Production in Contemporary Theatrical Discourse

الأستاذ : رياض الحجّاج

المعهد العالي للغات بقابس

جامعة قابس- تونس

البريد الإلكتروني: readhajje@yahoo.fr

المعلومات المقال	الملخص
تاريخ الارسال: 2025/05/10 تاريخ القبول: 2025/05/23	إذا كان انفتاح الدلالة، واتساع عوالمها يبقى رهين القراءة العابرة للنظريات. وإذا كان إنتاج المعنى في النصوص الأدبية قد تحكّمت فيه مثلما أشرنا إلى ذلك المقاربة البنيوية لمدة زمنية ليست بالقصيرة، فإنّ المآزق الذي وقعت فيه هذه النظرية حتمّ البحث عن بدائل لأنّ المنجز اللساني البنيوي كان يتعامل مع النصّ باعتباره – عملاً مغلقاً مبتوت الصلة، بحيث لا يحيل على شيء خارج عنه بل إنّ من هذا المنظور لا يحيل إلّا على نفسه فقط. ¹
الكلمات المفتاحية: المقاربة - البنيوية - التداولية - وجهة النظر - الخطاب المسرحي	

¹ - عمر بوقمرة، التحوّل اللساني من البنيوية إلى التداولية، الصوتيات، العدد التاسع، جانفي 2011، ص 45.

- أصل هذا المقال مداخلة قدّمتها في الندوة الدولية حول ترحال النظريات التي نظّمها قسم العربية بالمعهد العالي للغات بقابس جامعة قابس ، في أبريل 2025

وبذلك يكون تحيين المقاربة أو تغييرها من العوامل المؤدية بالضرورة إلى إثراء الخطاب وفتحها على أبعاد جديدة بل وتوسيع دائرة الدلالات الممكنة له، وهذا ما سنحاول أن نتبينه بالنظر في خاصيتي السرد وجهة النظر في النص المسرحي المسرحي باعتبارهما آليتين من آليات إنتاج الدلالة اعتمادا على المقاربة التداولية	
<i>Abstract : (not more than 10 Lines)</i>	<i>Article info</i>
If the openness of meaning and the breadth of its worlds remain subject to a transcendental reading of theories, and if the production of meaning in literary texts has been controlled, as we have indicated, by the structuralist approach for a considerable period of time, the impasse in which this theory found itself necessitated the search for alternatives. This is because the structuralist linguistic achievement treated the text as a closed, disconnected work, such that it does not refer to anything external to it; rather, from this perspective, it refers only to itself. Thus, updating or changing the approach is a factor that necessarily leads to enriching discourse, opening it to new dimensions, and even expanding the circle of its possible meanings. This is what we will attempt to clarify by examining the characteristics of narration and point of view in theatrical texts as two mechanisms for producing meaning, relying on the pragmatic approach and some mechanisms of semiotic analysis.	<i>Received</i> <i>Accepted</i>
	Keyword Approach Structuralism Pragmatics - Point of View Theatrical Discourse

مقدمة:

اخترنا في هذه المداخلة أن نهتم بالارتحال من المقاربة البنوية إلى المقاربة التداولية في قراءة الخطاب المسرحي العربي المعاصر و آليات إنتاج الدلالة فيه، و هي مداخلة تنضوي ضمن ما يعرف في الدّراسات النّقديّة بترحال النظريّة وآفاق القراءة و إبداعيتها في النظريّات ما بعد البنويّة.

إننا لا نبالغ إذا قلنا إنّ حضور المنهج البنوي في مقاربتنا للنصوص حضور منقطع النظير بل يبدو أنّه قد استحال إلى لازمة من لوازم مناهج التدريس في برامجنا التعليميّة وآلية من آليات المقاربة الأكثر حضورا في الدراسات الأكاديمية إلى فترة طويلة. وهو منهج سكوني يغيب الاهتمام بالمعنى أو يكاد، ويقصي من مجال اهتمامه كلّ ما له صلة بخارج الخطاب فيعزل النّص عن مرجعه ليستحيل النّص إلى دائرة لغويّة منغلقة على نفسها. وهذه كلّها علامات على المأزق الذي وصلت إليه البنويّة فبات الانتقال إلى مرحلة ما بعد البنوية ضرورة حتمية.

وإذا كان انفتاح الدلالة، واتساع عوالمها يبقى رهين القراءة العابرة للنظريات. وإذا كان إنتاج المعنى في النصوص الأدبية قد تحكّمت فيه مثلما أشرنا إلى ذلك المقاربة البنويّة لمُدّة زمنيّة ليست بالقصيرة، فإنّ المأزق الذي وقعت فيه هذه النظريّة حتم البحث عن بدائل لأنّ المنجز اللساني البنوي كان يتعامل مع النّص باعتباره - عملا مغلقا مبتوت الصلة، بحيث لا يحيل على شيء خارج عنه بل إنّ من هذا المنظور لا يحيل إلّا على نفسه فقط.¹ وبذلك يكون تحيين المقاربة أو تغييرها من العوامل المؤدّية بالضرورة إلى إثراء الخطاب وفتحها على أبعاد جديدة بل وتوسيع دائرة الدلالات الممكنة له، وهذا ما سنحاول أن نتبيّنه بالنّظر في خاصيتي السرد و وجهة النظر في النّص المسرحي باعتبارهما آليتين من آليات إنتاج الدلالة اعتمادا على المقاربة التداولية و بعض آليات التحليل السّيميائي.

¹ - عمر بوقمرة، التحوّل اللساني من البنويّة إلى التداوليّة، الصوتيات، العدد التاسع، جانفي 2011، ص 45.

- أصل هذا المقال مداخلة قدّمتها في الندوة الدّولية حول ترحال النّظريات التي نظّمها قسم العربية بالمعهد العالي للغات بقابس جامعة قابس ، في أفريل 2025

سترحل بنا إذن هذه القراءة للنص المسرحي من البنيوية إلى ما بعدها، وخاصة التداولية، ومن المؤكد أنّ هذا الارتحال عبر نظريات القراءة يضاعف من إنتاج الدلالة لتنتفتح على ما هو خارج النص، بما في ذلك القارئ نفسه مثلما سنبين في قراءتنا التداولية للخطاب المسرحي.

لم الخطاب المسرحي تحديداً؟ وما أهمية الارتحال من البنيوية إلى التداولية في مقاربة النص المسرحي؟ وما هي المقاربة الأنجع لقراءة هذا الخطاب؟ وهل نجحت البنيوية في أن تستبين الخصائص الأدبية للنص المسرحي؟ ولم تطرح التداولية نفسها البديل الأمثل، لقراءة هذا الخطاب وتوسيع آفاق الدلالة فيه؟.

هذه الأسئلة وغيرها هي عبارة عن مداخل نرصد من خلالها آفاق القراءة للخطاب المسرحي المعاصر عندما نرتحل به بين نظريات مختلفة.

و سنسعى في هذه القراءة إلى الوقوف عند عمق التمثيلات السردية للخطاب المسرحي ووجهات النظر الممكنة التي تتجلى في هذا الخطاب منجزا لسانيا.

1/ مداخل نظرية

بحث في المفاهيمات

1-1

إنّ الحفر في المفاهيمات التي يتحرك ضمنها مجال المقاربة لا يقف عند مجرد التّعدد أو التحديد اللغوي والاصطلاحي للمفهوم، وإنّما هي مرحلة ضرورية في مبحثنا نسعى من خلالها إلى " ربط النصوص الأدبية بمنطقاتها [النظرية]، ربط النتائج بالأسباب والظواهر بالعوامل" ² وعليه لن ينحو ضبط المفاهيمات منحنى الاستعراض اللغوي الجاف ولن يكون تعريف المفهوم معزولا عن سياق استعماله، بل ستنظر في هذه المفاهيمات انطلاقا من طرائق اشتغالها داخل المجالات التي يتحرك ضمنها البحث. وأول هذه المفاهيمات.

1-1-1 مفهوم المقاربة

جاء في لسان العرب لابن منظور، " قاربته مقاربة (...) والتقارب ضدّ التباعد... والمقارب الطرق" ³ وهذا يعني أنّ المقاربة هي الطريقة أو الطريق.

² - حسين الواد، من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل مجلة فصول، مج 1، العدد 1 و 2، ص 109

³ - ابن منظور، لسان العرب دار صادر بيروت ج 1، ط 1 1955

أما من الناحية الاصطلاحية فتتعدد تعريفاتها بحسب الاستعمال، والذي يعنيها في هذا المبحث هو المقاربة النصية. وبالنظر إلى تجاوز اللفظين (مقاربة + نصية) نخلص إلى دلالة أولية للمقاربة النصية وهي الدنو والاقتراب من النصّ والتعامل معه بعيدا عن الأحكام المسبقة (Préjugés)، وعليه فإنّ المقاربة النصية تنغلق على النصّ و " تجعل الدراسة اللغوية المنغلقة أساسا لذلك"⁴ وتجدر الإشارة إلى أن كلّ نص قابل للمقاربة والتحليل وذلك حسب نوعه والجنس الأدبي الذي ينتهي إليه.

وتهدف المقاربة النصية عموما على تحيل النصّ، ومكوّناته، وتفسيره انطلاقا من العناصر المكوّنة له، لفهم أبعاده ودلالاته بناء على علامات لغوية، وسياقات اجتماعية وثقافية، وحضارية... والثابت لدينا أنّ كلّ مقاربة ترحل بنا إلى عوالم تختلف بدرجات متفاوتة عن عوالم المقاربة الأخرى، ولأنّ المجال لا يسمح سنقف في ورقتنا هذه عند مقاربتين نظريتين هما المقاربة البنيوية والمقاربة التداولية وسنحاول أن نجرّهما على الخطاب المسرحي بحثا عن آليات إنتاج الدلالة في هذا الخطاب. وأولى هاتين المقاربتين

1-2: المقاربة البنيوية.

1-1

لن ندخل في تفاصيل النشأة، والتحوّلات التي مرّت بها البنيوية لأنّ هذا ليس من مشمولات هذا المبحث، ولكن علينا أن نشير أن المقاربة البنيوية هي بالأساس مقاربة لسانية فهي تستمدّ نفوذها من علم من أعلام اللسانيات الحديثة وهو (دي سوسير)، باعتباره مؤسس اللسانيات البنيوية. والمقاربة البنيوية هي منهج وصفي في قراءة النصّ والأدبي يمرّ بمرحلتين، مرحلة التفكيك ومرحلة التركيب، والقراءة البنيوية للنصّ الأدبي لا تستهدف مضامينه بشكل مباشر وإنّما تركز على شكل المضمون وعناصره والبنى الداخلية المتحركة في النصّ وأنظّمته وهي تركز على كل ما هو لغوي، تستقرئ الدلالات الداخلية للنصّ من غير الانفتاح على السياقات الخارجية التي قد تكون فاعلية في إنتاج الدلالة من قريب أو من بعيد، لذلك فإنّ المقاربة البنيوية تستبعد، بل ربّما تقصي ما هو خارج النصّ، والتاريخ، والمرجعي الواقعي والإنساني، وهذا ما أكّده حسين الواد عندما قال " إن البنيوية لا تقوم إلّا على استنطاق النصوص نفسها واستنطاقها على أنّها وحدات منغلقة تدافع عن كيائها بواسطة عناصرها الداخلية بدون الالتجاء إلى أن عنصر خارجي عنها"⁵

4- منذر عياشي، الكتابة الثابتة وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، ط 1 1998 ص 148

5- عبد السلام المستدي، قضية البنيوية (دراسة ونماذج) دار أمانة، تونس ط 1، 1991، ص 146

ويظهر لنا من خلال كل ذلك أن البنيويين في تحليلاتهم للنصوص ينطلقون من مسلّمة تقول باستقلالية النصّ استقلالاً عاماً، فلا علاقة له بالحياة الاجتماعية والأفكار السائدة، ولا بنفسية الكاتب نفسه فهذه أبعاد خارج دائرة التحليل البنيوي للنصوص فهو عندهم "كيان لغوي مستقل (...) أو نظام من رموز أو الدلالات التي تولد في النصّ وتعيش فيه ولا صلة لها بخارج النصّ"⁶ وهذا يعني أن قيمة النصّ لم تعد ترجع إلى عبقرية كاتبه، وقدراته الذهنية والإبداعية بل إن البنيوية أعلنت بشكل صريح عن "موت الكاتب أو المؤلف". وهو ما أكّده بارت بقوله "المؤلف يضع دائماً وسط النصّ. لقد مات المؤلف من حيث هو مؤسسه: اختفى شخصه المدني والغرامي، والسيري"⁷

ومع موت المؤلف كان من الضروري إيجاد طرف آخر يكون فاعلاً في عملية القراءة والتأويل هذا الطرف هو "القارئ أو الناقد، الذي ستصبح له الحرية الكاملة ليستبجح النص، ويفعل به ما يشاء، مادام مبدع النصّ خارج هذه المعادلة فيتحوّل [النصّ] إلى ذهن القارئ وبأشكال مختلفة [لأنّ] الاهتمام بالمؤلف (...) لم يعد هو الأساس"⁸.

و هكذا يصبح القارئ طرفاً فاعلاً في عملية القراءة فيعيد إنتاج النصّ، و يخرج من وضع المستهلك إلى وضع المنتج، و هو ما ستتبناه المقاربات ما بعد البنيوية لاسيما التداولية. و الطريف في الأمر أنّ الجوانب التي استبعدتها البنيوية في مقاربتها للنصوص و تركتها خارج دائرة التحليل البنيوي هي نفسها التي ستكون سبباً في تراجعها و نهاية سلطتها و نفوذها بل و انهيار مقولاتها، وهذا مل سيعجل ب بروز مقاربات أخرى على أنقاض البنيوية كالمقاربة السيميائية، والمقاربة التداولية موضوع بحثنا.

3-1-1- المقاربة التداولية

أصبحت المقاربة التداولية إحدى أهم النظريات الفاعلة بقوة في ميدان النقد الأدبي، فما هي المقولات التي تطرحها التداولية بشأن النصوص الأدبية عموماً و النصّ المسرحي على وجه الخصوص. و ما هي الزوايا الجديدة والمختلفة التي تتناول من خلالها التداولية النصوص الأدبية ؟ وهل نجحت في معالجة قصور النظريات الأخرى و لاسيما البنيوية؟. التداولية هي نظرية نقدية

6- ماضي شكري عزيز، محاضرات في نظرية الأدب دار البعث، ط1، 1984 ص 139.

7- رولان بارت، لذّة النصّ، تر، صفا فؤاد وسيحاز الحسين دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1 1988 ص 33.

8- رولان بارت، نقد وحقيقة، تر ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسخين الدار البيضاء ط1، 1985، ص 22.

تهتم بدراسة الظواهر الأدبية من منظور لساني منطلقة من علاقة الخطاب الأدبي بسياقة التلفظي والتواصلي، فتكون بذلك قد تجاوزت البنيوية المغلقة على النص، لتهتم بدراسة العلاقات الممكنة بين المتكلم والقارئ/ المتلقي ضمن سياق تواصلي محدد.

وهي تهتم بدراسة اللغة وتحليل آليات الخطاب في سياق الاستعمال المتغير والمتحول دون أن تعزل النص عما يحف به من علاقات سياقية ومرجعيات مختلفة، وبذلك تصبح الدلالات متولدة من الملفوظ في علاقته بالذات المتلفظة، وفي علاقته بالذات المتقبلة له. و لعل - تزفيتان تودوروف- كان أول من نبّه إلى المأزق الذي وصلت إليه البنيوية والذي جعل الانتقال إلى مرحلة ما بعد البنيوية ضرورة حتمية. فقد أكد أن " النص الأدبي ليس مصنوعاً من البنى فقط وإنما هو مصنوع من الأفكار والتاريخ"⁹.

و تنطلق دراستنا للمقاربة التداولية في الخطاب الأدبي من وظائف اللغة نفسها خاصة في البعد التواصلي لها الذي ركزت عليه أعمال جاكسون (Jacobson). و لعل ما حدده كل من براون (Brown) ويول (Yule) هو حلقة الربط الفعلية بين وظائف اللغة و مقولات التداولية فقد أكدوا على وظيفتين أساسيتين للغة هما الوظيفة التفاعلية التي تعني "اللغة المستعملة لنقل المعلومات المتعلقة بالوقائع و الأقوال"¹⁰. و الوظيفة التفاعلية التي "تقوم بإقامة العلاقات الاجتماعية و تثبيتها"¹¹.

و إذا أضفنا إلى هذين التعريفين تعريف هاليداي (Halliday) للوظيفة التفاعلية بكونها التي "تعبّر عن دور المتكلم في مقام الكلام و ما يلزم به نفسه من قيم و أعراف في تعامله مع الآخرين"¹² تبين لنا أننا إزاء المجال الذي تتحرك فيه التداولية باعتبار ما نلمسه من تركيز على علاقة اللغة بسياقات الاستعمال.

⁹- العمامي محمد نجيب وابن خود نورالدين، النص السردي وقضايا المعنى، دار محمد علي للنشر، ط.1، ص13.

¹⁰ - انظر، الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 مارس 2004، ص 18.

¹¹ - نفسه، ص 19.

¹² - نفسه، ص 15.

وقد أكدت جلّ الدراسات تنوع مجالات التداولية و هو ما يجعلنا نذهب إلى أن التداولية تداوليات و أقرب هذه التداولية إلى مجال مبحثنا هي نظرية أفعال اللغة أو أفعال الخطاب¹³ كما يسميها بول ريكور (Paul Ricœur). و هذه النظرية " تخصص لدراسة القيم التخاطبية المنكبة (كذا) داخل الملفوظ و التي تسمح له بالاشتغال كفعل (كذا) لغوي خاص"¹⁴.

و يؤكد دومنيك مانغونو (Dominique Mainguenu) أهمية تلك النظرية في دراسة الخطاب المسرحي من زاوية كونه نصا أدبيا لا من زاوية العرض و ربما هذا ما جعل الخطاب المسرحي و خاصة الحوار المرتع الخصب للدراسات التداولية ذلك أن جلّ المقاربات التداولية تختبر مفاهيمها " بالاشتغال على مقاطع نصية مأخوذة من كتابات درامية كلاسيكية و حديثة على حدّ سواء"¹⁵.

ولا بدّ من التأكيد أن الإطار المرجعي والنظري الذي تتحرك داخله مقاربتنا التداولية للخطاب المسرحي هو الأنماط الثلاثة للأعمال اللغوية (actes de langage) مثلما نظّر لها أوستين (Austin) الذي يميّز بين ثلاثة أعمال لغوية يمكن إنجازها عبر الملفوظ وهي:

– عمل القول (acte locutoire)

– العمل المتضمن في القول (acte illocutoire)

– عمل التأثير بالقول (acte Perlocutoire)

على أن هذه الأعمال اللغوية لا يمكن إنجازها بمعزل عن عناصر الخطاب كالباث والمتقبل والعلاقة بينهما والظروف الحاقّة بإنشاء الخطاب. وعليه فإن "محلّ الخطاب (...) [يجب] أن يكون على دراية بهويّة المتكلّم والمتلقّي وبالإطار الزماني والمكاني الذي يتنزل فيه العمل اللغوي"¹⁶ وأن لا يغفل عن السياق التداولي أي سياق الفعل الذي يجعل لكلّ " جملة تقال (...) قوّة تسمى القوّة الإنجازية"¹⁷ (force illocutionnaire) وهي قوّة يمكن تحديدها انطلاقا من موقع المتكلّم في

¹³ - نفسه، ص 131.

¹⁴ - يوسف حسن، المرجع السابق، ص 2.

¹⁵ - يوسف حسن، نفسه، ص 3.

¹⁶ - محمد الخبو، قراءات في القصص، مكتبة علاء الدين، صفاقس ط 1 ماي 2003 ص 29

¹⁷ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة

بيروت لبنان، ط 1 مارس 2004 ص 43

المجتمع، وانطلاقاً من قوّة أفعاله الصريحة والضمنية التي تدفع في اتجاه إنجاز الحدث أو التأثير في المتلقي.

إن التداولية مثلما يذهب إلى ذلك "جورج يول" (1874-1951) تعني " بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسّره المستمع (القارئ)، لذا فإنّها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم، (...) عنّها دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم"¹⁸، فالمعنى إذن هو مركز الدراسة التداولية، من جهة المتكلم والمتلقي، وكذلك من جهة السياقات الماديّة والاجتماعية التي يتركز عليها، باعتبار أهميّة هذه السياقات وأثرها في نظام الخطاب المنجز.

أمّا من حيث علاقة التداولية بالخطاب فقد " عنت بأكثر من جانب من جوانب الخطاب (...) منها

- الأفعال الكلامية

- والقصد أو المعنى التداولي

-الإشارات"¹⁹، فهي من هذه الرواية طريقة في البحث عن معاني الإشارات والعلامات اللغوية، وغير اللغوية في علاقة لسياق التلفظ والأطراف الفاعلة فيه، إننا إزاء مقاربة تبعث في كلّ الوضعيات المنتجة للتواجد من خلال الملفوظ والمواقف، والعلاقات، دون أن تتملّص من علاقتها باللغة أي دون أن تتنكر لمرجعيتها اللسانية لأنّ التداولية في نهاية الأمر هي ذلك " الحقل اللساني [الذي] يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق"²⁰

و من منطلق تنوع مجالات التداولية فإنّها تصلح منهجاً لجميع ميادين المعرفة، ولذلك فإنّها تتقاطع مع علوم أخرى كعلم الدلالة الذي يشاركها في دراسة المعنى وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، ونظريات تحليل الخطاب، وهذا ما جعل الدارسين يتحدثون عن تداوليات لا عن تداولية واحدة وسنركز في بحثنا هذا على أقرب التداوليات إلى مجال اهتمامنا، وهو الخطاب المسرحي وقد تبين لنا أن نظرية أفعال الكلام أو أفعال الخطاب هي النموذج الأنسب والأنجع

18- جورج يول، التداولية، تراقصي العتابي، دار الاحسان الرباط ط 1 2010، ص 19

19- الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار العتاب الجديد ط 1 2024، ص

لتحليل الخطاب المسرحي، لأنّه مثلما تؤكد جلّ الدراسات قد استطاعت سدّ ذلك النقص الحاصل في المقاربة البنيوية.

فالمقاربة التداولية قد أخرجت الخطاب الأدبي عموماً والمسرحي على وجه الخصوص من حالة الجمود إلى الديناميكية والحركة، لأنها مقارنة – مثلما بينّا – ارتبطت بطابع الاستعمال وما يحدثه الكلام من تواصل بين مختلف الأطراف الفاعلة في عملية التلقّف إذ لم تعد تقتصر على تلك البني اللغوية المجردة المكوّنة للخطاب كما هي الحال مع المقاربة البنيوية.

فكيف تعاملت التداولية مع الخطاب المسرحي؟ وما هي آليات إنتاج الدلالة في هذا الخطاب من منظار تداولي؟ وما الذي يميّز الخطاب المسرحي من غيره ليكون الأمثل لقياس مقولات المقاربة التداولية؟ وهل تختلف دلالات هذا الخطاب عندما نرحل به من المقاربة البنيوية إلى المقاربة التداولية؟ ومن التداولية إلى نظرية التلقّي (théorie de la reception)؟ وما هي مسوّغات هذا الارتحال؟.

يبدو إذن أنّ النص المسرحي مهياً أكثر من غيره لاستيعاب مقولات النظرية التداولية و في خطابه من الخصائص ما يجعله النموذج الأمثل لاختبار قوانينها.

4-1-1- الخطاب والخطاب المسرحي.

يعد " مفهوم الخطاب من أكثر المبهومات تعقّداً وأشدّها لبساً وأكثرها انتشاراً في مجالات معرفيّة مختلفة"²¹، ولعلّ هذه الخاصيّة تحديداً هي التي جعلت منه مجالا متّسعاً للبحث والمقاربة متعدّدة الاختصاصات. وقد وضعت للخطاب تعريفات متعددة من حقول معرفية تصل حدّ التباين كاللسانيات أو السيميائية أو نظريات تحليل الخطاب، و يرى بنفينيست (Benveniste) أنه ينبغي فهم الخطاب باعتباره " [تلقّفاً] يقتضي متكلماً و سامعاً، و في نية الأول أن يؤثّر في الثاني بطريقة ما"²². فبنفينيست إذن يركّز على عملية التلقّف التي تنقل اللغة من طور الجمود إلى طور الحركة عبر الاستعمال الفردي للكلام و بالتالي الخطاب.

إنّ هذا تصوّر يقربنا من المفهوم الذي نروم تبنيه و هو ذلك التعريف الذي لا يقف عند حدود فعل التلفظ لأنّ التلفظ و حده لا يرقى إلى مستوى الخطاب إلا إذا احتوى على سياقات

²¹- الخبو محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة دار صامد للنشر والتوزيع ط1 تونس 2003 ص

16.

²² - الخبو محمد، المرجع نفسه، ص 29.

تواصلية مخصصة و هو ما يصل بنا إلى المعادلة التي اقترحها بيرشارودو (P. Charaudeau) و التي يكون بمقتضاها الخطاب مساويا لـ مقام تواصلية و ملفوظ.

الخطاب = مقام تواصلية + ملفوظ

(Discours = situation de communication + énoncé)

و هذه المعادلة تراهن على مفهوم التواصل و على ضمان اكبر قدر ممكن من النجاح لعملية التواصل بين أطراف الخطاب و هو ما يصل بنا تدريجيا إلى نمط الخطاب الذي سندشغل عليه أي الخطاب المسرحي تحديدا. فما الخطاب المسرحي؟ و ما الذي يميز هذا الخطاب من غيره من أنواع الخطابات الأخرى؟ و ما الذي يجعله مهيئا أكثر من غيره ليتلاءم و المقاربة التداولية؟ للخطاب المسرحي سمات قد لا تتوفر في غيره من الخطابات، و جب الوقوف عندها في هذا المبحث وأبرز ما يميزه من غيره.

● إنه خطاب يوحى بازواجية الانتماء فهو بين الأدب والمسرح، وهو من أشد الخطابات تأثيرا لاسيما إذا كان المتلقي متفرجا، أي عندما يعبر هذا الخطاب إلى خشبة المسرح، وتظهر هذه القوة التأثيرية من خلال ردود الأفعال المختلفة والمتنوعة، الحسية، والانفعالية والساكنة التي يبديها متلقي هذا الخطاب.

● "إن الخطاب المسرحي ليس مجرد ألفاظ (كغيره من الخطاب) ولكنه على العكس عنصر لممارسة جماعية دالة على مجموعة من العلاقات اللاشعورية والذاتية والاجتماعية"²³

● الخطاب المسرحي خطاب متحرك ومتغير باعتبار تغير وضعيات التلطف لذلك تتعدد لغاته ووسائله التعبيرية وتشتط أن أوبرسفلد (Anne Ubersfeld) على دارس الخطاب المسرحي ضرورة أن يراعي "عنصرين مهمشين هما ظروف تلقظ هذا الخطاب وشروطها، لأن الظروف هي التي تشكل قوته أو ضعفه أما الشروط فهي الإشارات الموازية للخطاب التي قد تساعد الخطاب أو تحد من أثره"²⁴

²³ الانصاري حسن، الكتابة في درجة المسرحية موقع www.MASRAH EOUN.com

²⁴ Ubersfeld Anne, lire le théâtre ed, sociale, P247

• هو خطاب غير مكتمل، ولا يمكن أن يبلغ غاياته النهائية لأنه شكل " تعبيرى واتصالى متغير على مستوى الشكل والمضمون"²⁵ وهذا تؤكد ماري إلياس التي تذهب إلى أن النص المسرحي " نص غير مكتمل (...) وأعتبر النص المسرحي نصًا ملتبساً"²⁶ أما باتريس بافيس فيؤكد على الخاصية الجدلية للخطاب المسرحي ويرى أن " جدلية هذا الخطاب متفاوتة، لأنه خطاب يرتبط بالتغيرات المقامية والدرامية ويتوالى وفق الصراعات الدرامية أو وفق الحلول المقترحة لها"²⁷

إن هذه الخصائص التي تميز الخطاب المسرحي من غيره من الخطابات تجعل منه خطابا شديدا التعقيد، مشكلا في دراسته لاسيما إذا كانت مقاربتنا له بالنظر في تكوينه الأساسين هما الكلمة (النص) والعرض (الفعل)، لأن المبدأ الأساسي في أي خطاب مسرحي أن "الكلمة تعني الفعل" (Dire c'est faire). و تقودنا هذه السمات إلى تعريف مخصوص للخطاب على علاقة وثيقة بموضوع هذه الورقة العلمية، وهو التعريف الوظيفي للخطاب الذي " يلقي الضوء على كيفية تحقيق بعض الوظائف اللغوية التي يستطيع المرسل من خلالها أن يعبر عن مقاصده ويحقق أهدافه (...) مركزا على اقتناص المرسل لفرصة استثمار كافة المستويات اللغوية، مثل المستوى الفنولوجي، بتوظيف التنغيم والنظم التركيبي وإنجاز الأفعال اللغوية"²⁸. و عليه يبدو أن هذه الخصائص و غيرها هي التي جعلته منفثا على المقاربة التداولية أكثر من أي مقارنة أخرى.

فالمقاربة التداولية تبدو البديل الأمثل الذي يجب أن نستعير به عن المقاربة البنيوية ونتجاوز به ومن خلاله بعض مآزق البنيوية، لاسيما إذا أفدنا من المقاربة السيميائية ذات الطابع التوليدي والتفسيري الذي يساعدنا على اقتفاء أثر المعنى وإنتاج الدلالة.

وقد أثبتت الدراسات النقدية أن الخطاب المسرحي تحديدا هو مجال خصب للمقاربة التداولية التي "كانت تختبر مفهوماتها ومقولاتها بالاشتغال على مقاطع نصية مسرحية كلاسيكية وحديثة"²⁹.

²⁵- باسم الأعسم، التلقي في الخطاب المسرحي، مجلة البحرين الثقافية العدد 25 2002 ص 136

²⁶- ماري إلياس، أزمة المسرح مجلة البحرين الثقافية، ص 83

²⁷Patrice Pavis. Déc du théâtre ed social, paris 1980 P163

²⁸- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 38

²⁹- انظر Mainguenau Dominique, Programmatique pour le discours littéraire, ed. Nathan Paris, 2001, p.157.

فهو خطاب مهمياً أكثر من أيّ خطاب آخر لاستيعاب مقولاتها لأنّه خطاب متحرك ومتحوّل عبر الزمان والمكان، وهذا هو جوهر التداولية التي هي " حقل لساني يهتمّ بالبعد الأستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق"³⁰ وتهتمّ التداولية بالعلاقة بينه وبين دلالية الملفوظ كما أنّها تحرص على استحضار المتكلم في الخطاب.

وهكذا يكون تحيين المقاربة أو تغييرها من العوامل المؤدّية بالضرورة إلى إثراء الخطاب وفتحه على أبعاد جديدة بل وتوسيع دائرة الدلالات الممكنة له، وهذا ما سنحاول أن نبيّنه بالنظر في خاصيتي السرد ووجهة النظر في النصّ المسرحي باعتبارهما آليتين من آليات إنتاج الدلالة اعتماداً على المقاربة التداولية .

5-1-1 الدلالة

ورد في لسان العرب في تحديد معنى الدلالة ما يلي: " دلّه على الشيء يدلّه دلاً ودلالة (...) سدّه إليه (...) والدليل ما يستدلّ به والدليل: الدالّ. وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة ودلاله ودلولة والفتح أعلى والدليل والدليلي: الذي يدلّك (...) قال سيبويه والدليلي علمه بالدلالة ورسومه فيها"³¹

إنّ الدلالة من هذا المنطلق هي كلّ ما يوصل إلى مدلول ما، وهي لا تختصّ بالّلغة فقط ويمكن لنا أن نتحدث عن علم الدلالة sémanitique و هو العلم الذي به ندرس المعنى، وهنا يعني أنّ هناك فرقاً بين الدلالة والمعنى " فالدلالة هي مجموع المعاني اللّغوية التي يتضمنها اللفظ وهي وسيلة الوصول إلى المعنى فيها يومئ إلى مفهوم اللفظ، لذا تعدّ الدلالة أوسع من المعنى وأشمل"³²، و تتأتّى ضرورة البحث في دلالة الخطاب من كون الألفاظ المكوّنة لذلك الخطاب ترتبط دلالاتها بنواحي الحياة المختلفة وبعملية التواصل نفسها بين الأطراف الفاعلة في عملية التلقّظ، ذلك أن قصوراً في فهم دلالة اللفظ يؤدّي بالضرورة إلى خلل في التواصل، أي لن يتحقّق فعل التواصل إلّا عندما يصل المعنى المقصود إلى ذهن المتقبل فيقف بذلك على دلالات الملفوظ .

³⁰ يوسف حسن، المسرح والتداولية، الموقع youssefi/msn ص2

31- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت ط 2 1992 ص ص 248 و 249.

32- موسوعة اللّغة العربية، الدرر السنية الموقع w.wdorar.net

ومما يجب التأكيد عليه في هذا الإطار أن الوقوف عند دلالة أي خطاب بما في ذلك الخطاب المسرحي موضوع هذه المداخلة، ينطلق من دراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية وسياقات استعمالها (الواقعي، الاجتماعي، النفسي، الحضاري، الايديولوجي والثقافي...) وذلك قصد الوصول إلى معاني ذلك الخطاب، القريبة والبعيدة، الحقيقية والمجازية بل الوصول إلى " المعنى التداولي الذي يقوم على مقصدية المتكلم"³³ لكن السؤال المركزي في مبحثنا هذا حتى لا يكون ضبط المفهوم غير وظيفي، هو هل أن استخلاص الدلالة من الخطاب عملية بسيطة أم معقدة؟ وهل تتغير دلالة الخطاب بتغير المقاربة المعتمدة في قراءته؟

1- تحولات القراءة من البنيوية إلى التداولية.

إن الأسس المتجهة لقراءة النصوص وتحليلها من منظور بنيوي تنطلق - مثلما بينا- من النموذج اللساني (اللغوي) وهو الأصل في كل مقاربة بنيوية، وإذا كانت اللسانيات تعتبر الجملة أكبر وحدة يمكن تحليلها لسانيا فإنّ هذا لم يمنع البنيويين من الخروج من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب، ولكي يتسنى لهم ذلك اعتبروا " الخطاب جملة كبيرة والجملة خطابا صغيرا"³⁴، فالنص المسرحي من هذا المنطلق جملة كبيرة، ينطبق عليه ما ينطبق على الجملة الصغيرة، ورغم هذا التوسع فإنّ العلامة اللسانية في أي خطاب من منظور بنيوي لا علاقة لها بالعالم المرجعي وأن إنتاج الدلالة لا يكون إلّا من خلال الربط بين الدال والمدلول، وبمعزل عن أي عامل خارجي، مرجعي أو نفسي أو ثقافي أو ايديولوجي وبذلك تصبح اللغة بقوانينها، الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية هي المتحكممة في عملية القراءة أو المقاربة، وأن إنتاج الدلالة في أي خطاب - من منظور بنيوي- غير ممكن خارج اللغة وأنساقها، " وهكذا أصبحت مهمة الناقد أن يختبر لغة الكتابة، ليرى مدى تماسكها، وتنظيمها المنطقي والرمزي، ومدى قوتها أو ضعفها بغض النظر عن الحقيقة التي تزعم أنها تعكسها أو تعرضها"³⁵ وبغض النظر عن الدلالة المصاحبة للألفاظ أو الدلالة الحاقّة، وعلى هذا الأساس تغيب المقارنة البنيوية المعنى أو تكاد وتقصى من مجال اهتمامها كلّ ما له صلة بخارج الخطاب فينعزل النص تبعاً لذلك عن مرجعه، ليستحيل إلى

33- محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن ط 1، 2000، ص ص 14-15

34- رولان بارت، التحليل البنيوي للمسرد، تر، حسن بصراوي وآخرون، منشورات اتحاد كتاب المغرب ط 1 1992

ص 11

35- ابراهيم احمد محمد، آليات التحليل البنيوي للنص المسرحي، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية العدد 16،

ج1، 2018 ص 7

دائرة لغوية متغلقة على نفسها. كل هذه العلامات جعلت المقاربة البنيوية للنصوص تعيش مأزقا، وقد ازداد تعمقا ووضوحا أمام محاولات قراءة الخطاب المسرحي، ولاسيما اثر النقلة النوعية التي عرفتھا الظاهرة المسرحية، والتي نلمس أثارها في هذا الخطاب حوارا و إشارات وتحديدًا مع اللحظة (البريشتية) . فقد بدأ المسرح يتحرر تدريجيا "من سلطة النص لصالح سلطة العرض، وقد رافق ذلك تبدل في وظيفة الحوار"³⁶ ، وفي وظيفة الإشارات المسرحية التي توغلت في بنية النصوص الدرامية الحديثة "وعله يمكن اعتبار النمط السردى أساسا من أسس تميز الخطاب المسرحي الدرامي"³⁷.

ولعلّ هذه النقلة في خصائص الخطاب المسرحي هي التي جعلته يتفتح على مختلف الفنون لا سيما فن القصّ لذلك لا شيء يمنعنا من مقارنة النصّ المسرحي كما لو كان تقارب نصا روائيا، وهذا ما ذهبت إليه آن أوبرسفيدل (Anne Ubersfeld) التي ترى أنّه " يمكن دائما أن تقرأ النصّ المسرحي على أنّه ليس بمسرح، فلا شيء فيه يمنع من قراءته باعتباره رواية فترى في الحوارات حوارات روائية، وفي الإشارات الركحية [مقاطع] وصفية كما يمكن أن نحول المسرحية إلى رواية"³⁸. كل هذه المؤشرات تؤكد أن النصّ المسرحي المعاصر لم يعد نصّا مغلقا تحكمه قيود صارمة غير متغيرة مثلما يبدو في التصوّر الأرسطي، بل بات نصّا مفتوحا على غيره من الأجناس الأدبية قابلا للقراءة والتأويل انطلاقا من مختلف النظريات على غرار البنيوية وما بعدها ولا شك في أنّ إبداعية القراءة تمرّ عبر هذه النظريات وهذا يعني أن انفتاح الدلالة، واتساع عواملها يبقى رهين القراءة العابرة للنظريات .

وإذا كان إنتاج المعني في النصوص الأدبية قد تحكمت فيه المقاربة البنيوية لمدّة زمنية ليست بالقصيرة إلّا أن المأزق الذي وقعت فيه هذه النظرية حتمّ البحث عن بدائل، ذلك أن المنجز اللساني البنيوي كان يتعامل مع النصّ باعتباره " عملا مغلقا على نفسه بحيث لا يحيل على شيء خارج عنه بل إنه من هذا المنظور لا يحيل إلّا على نفسه فقط"³⁹ وهذه النظرة البنيوية إلى النصوص الأدبية، ومنها النصّ المسرحي تجعل المقاربة البنيوية له قاصرة عن الوصول إلى "

36- خالد الغريبي ، منزلة الحوار في تاريخ الظاهرة المسرحية (الحياة الثقافية، تونس، العدد 188 ديسمبر 2007

ص 49

37- نفسه ص 53

Ubersfeld Anne, lire le théâtre ed, sociale, P247 -38

39- عمر بقمرة، التحوّل لساني من البنيوية إلى التداولية الصوتيات، العدد التاسع، جانفي 2011 ص 45.

الدلالة المقصدية التي عناها صاحب النص و [عاجزة] عن إيصالها تامة غير منقوصة إلى المتلقي⁴⁰ سنرحل بنا إذن هذه القراءة للنص المسرحي من البنيوية إلى ما بعدها، وخاصة التداولية، ومن المؤكد أن هذا الارتحال عبر نظريات القراءة يضاعف من إنتاج الدلالة لتنتج على ما هو خارج النص، بما في ذلك القارئ نفسه مثلما سنبين في قراءة التداولية للخطاب المسرحي.

والثابت لدينا أن إنتاج الدلالة في النص المسرحي المعاصر تتحكم فيه عناصر أدبية، وغير أدبية على حد سواء. منها ما هو من داخل النص نفسه كاللغة والحوار والأحداث، والشخصيات والحبكة القصصية... ومنها ما هو من خارج النص كالعلامات غير اللسانية التي تهيء النص الدرامي للعرض، من قبل المؤثرات الصوتية، وقطع الديكور، والأصوات والأزياء...

لكننا في مقاربتنا هذه سنكتفي بالوقوف عند آليتين من آليات إنتاج المعنى في النص الدرامي* وهما السرد وجهة النظر. فما المقصود بالسرد؟ وكيف يلتقي السرد وجهة النظر لإنتاج الدلالة في الخطاب المسرحي؟ وما هي المقاربة الأنجع لقراءة هذا الخطاب؟ وهل نجحت البنيوية في تحليل الخصائص الأدبية للنص المسرحي؟ ولم تطرح التداولية نفسها البديل الأمثل لقراءة هذا الخطاب وتوسيع آفاق الدلالة فيه؟

ما من شك في أن لكل نظرية من النظريات المعتمدة في المقاربة منطلقات، وأصولا معرفية تنعكس على طرائق إجراءاتها على النصوص وظهرت في الجهاز الاصطلاحي أو المفهومي الذي تهض عليه، بل وعلى النتائج التي تروم الوصول إليها، لكننا لن نقف عند كل ذلك بالتفصيل لأنّ المسائلة تتجاوز حدود هذا المبحث، ومع ذلك سنحاول أن نذكر بأبرز خصائص المقاربة البنيوية للنص المسرحي، ومن ثمة ننتقل إلى كيفيات التحول من البنيوية إلى غيرها من النظريات ولاسيما السيميائية فالتداولية (بحسب ما يسمح به مجال الدراسة).

2- البنيوية وانغلاق الخطاب، التداولية بديلا

40- نفسه ص 45

* توضيح:

12- للتوسع يمكن العودة إلى مقال، ابراهيم أحمد محمد، آليات التحليل البنيوي للنص المسرحي، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية العدد 16 أكتوبر 2018

إن الخطاب المسرحي، من منظور بنيوي يتضمّن معناه في داخله، الذي تتحكّم فيه العلامات اللسانية الصّرف أي بتلك الخصائص اللّغوية التي تشكل أسلوب الكتابة فيه، وهما ما من شأنه أن يعمّق القطيعة مع المؤثرات الخارجية عن الخطاب وهذا ما تؤكّده آليات المقاربة البنيوية التي تقوم على أدبية النصّ، وموت المؤلف والثنائيات المتضادة فالوحدات الشبه النصيّة وبنية الزمان والمكان – بنية الشخصيات – بنية اللغة)*

1-2- إنتاج الدلالة في الخطاب المسرحي مقارنة تداولية

تؤكد جلّ الدراسات على أن التداولية تتقاطع في الكثير من المستويات مع علم الدلالة فالتداخل بينهما كبير جدا ذلك أن الوقوف عند دلالة كلمة أو عبارة، أو خطاب مالا يمكن أن يكون بمعزل عن المتكلم ومقاصده ، وعن السامع وكذلك الموقف الذي يجري فيه المتكلم⁴¹ ويبدو أن الوقوف على الدلالة في الخطاب المسرحي كان أكثر عمقا ، واتساعا في التحليل التداولي منه في التحليل البنيوي، لأن المقاربة البنيوية مثلما بينا لا تتجاوز حدود اللغة في وضعها السكوني وذلك بالنظر في المستوى النحوي ، والصرفي ومستوى الأصوات ، و أحيانا مستوى النسيج اللغوي الذي كتب به النصّ ثم المستوى المعجمي ، كل ذلك معزول عن سياق الاستعمال، وهذا ما يجعل النص الأدبي مغلقا في وجه أي تأويل غير بريء في أبعاده النفسية أو الاجتماعية، أو الإيديولوجية أو الفكرية وهكذا يصبح البحث عن توسيع الدلالة وإنتاج المعنى فرصة للبحث عن بديل آخر لتجاوز عجز المقاربة البنيوية وقصورها، فكان التحوّل إلى المقاربة السيميائية، ومنها إلى المقاربة التداولية هو الحل الأمثل، وهذا الترحال عبر النظريات - مثلما أشرنا - جعل القراءة أكثر فاعلية ، وانفتاحا عي معان جديدة لانهاية لها، وعلى مضامين متعددة ليست نتاج الشكل اللغوي فقط، وانما هي انعكاس لما هو خارج النص كالمرجع والواقع والتاريخ ، و السياقات المختلفة التي قد أفرزت هذه الدلالات من قريب أو من بعيد. وهكذا يكون تحيين المقاربة أو تغييرها من العوامل المؤدية إلى إثراء الخطاب وفتحه على أبعاد جديدة بل وتوسيع دائرة الدلالات الممكنة له، و هو ما سنحاول أن نتبينه بالنظر في خاصيتي السّره ووجهة النظر في النص المسرحي وما يمكن ان ينتج من دلالة اعتمادا على المقارن التداولية.

41- نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب أهم المبادئ والإجراءات بيت الحكمة، الجزائر ط 1، 2009 ص

3-1 السرد ومستوياته في الخطاب المسرحي

قد يبدو الاهتمام بالسرد من هذه الزاوية مألوفاً، لا جدّة فيه أو طرافة، لاسيما إذا اقتصرَت الدراسة على اعتبار السرد ذلك الجزء الذي يعرض فيه السارد الأحداث الواقعية أو المتقبلة التي تنجزها الشخصيات أو الفواصل عموماً.

لكن السرد كما استقرّ في الدراسات الحديثة يتجاوز ذلك ليشمل:

+ بنية الحكاية + بنية المكان أو الفضاء

+ بنية الزمان

+ ووجهة النظر باعتبارها تقنية سردية تساهم في تشكيل الخطاب في مرحلة أولى ثم تقود في مرحلة ثانية - مثلما سنبين - إلى إنتاج المعنى والدلالة.

فالسرد إذن هو الخيط الذي ينتظم مختلف هذه البنى ويوجّهها لإنتاج دلالات الخطاب المتعددة ثم إنّ الاهتمام بالسرد باعتباره آلية من آليات إنتاج الدلالة قد فرضته مركزيته، في المسرح الحديث مقارنة بالمسرح الكلاسيكي، وهو لئن كان ضرورة درامية عملية في المسرح الكلاسيكي له وظيفة محدّدة لا تتجاوز زمن العرض ومكانه فإنّه في المسرح الحديث لاسيما الملحي منه "فعل مقصود (...)" وخيار واع تتلاشى (بموجبه) الحدود بين الأنواع⁴²

وقد شكّل السارد حلقة الوصل الكبرى بين المادّة المسرودة والممثل لذلك قلّما يغيب عن النصوص المسرحية ذات التوجّه الملحي وهو الذي ينتقل بنا من المرئي إلى المسموع عبر فعل السرد وهو الذي ينظّم المادّة المحكية ويوجّهنا نحو الوقائع والأحداث وهذا الدور المركزي للسارد ليس معزولاً عن موروثنا الحكائي بل هو من صميم ما تأصّل في الثقافة العربية من مادّة سردية، ومن أشكال الرواية المختلفة.

إنّ الراوي في مغامرة رأس المملوك جابر لسعد الله ونّوس يعلن عن نفسه (العم مؤنس الحكواتي) باعتباره عنصراً مكتملاً للديكور وشخصيته تقبع خارج الحدث وهذا ما يسمح للنص أن يغادر الخشبة زماناً ومكاناً فيتحرّك بكلّ حريّة إلى الأمام أو إلى الخلف "محتفظاً بتلك الحدود النفسية للفضاء المسرحي"⁴³ على حدّ عبارة بوين حونثلين أنخل.

⁴²- مخلوف بوكروج، السرد في المسرح، فضاء المسرح، ص3، موقع المدار.

⁴³- أبوين جونثلين أنجل، السارد في المسرح، ثم خالد سالم، أكاديمية الفنون، القاهرة، 2003، ص45.

وقد ذهب جيرار جونييت إلى أنّ مستويات السرد في النص تختلف باختلاف القائمين به وباختلاف طبيعة علاقتهم بالقصة المسرودة. والسارد في =مغامرة رأس المملوك كجابر= سارد = خارج حكائي Narrateur Heterodiegetique يروي ولا يتدخل ولا يشارك في الأحداث بل لا علاقة له بالشخصيات" هو صوت من خارج المعطيات المكانية والزمانية⁴⁴، للحكاية (الأمثلة) يضع أحداثها ويروي تفاصيلها بل هو المتحكّم في السرد.

على أنّ اللافت للانتباه أنّ هذا السارد يعتمد إلى ترك فراغات، وكان في ذلك دعوة للمتلقي أن يسهم في لعبة ملء الفراغات وهي تقنية فعالة لإثراء القراءة وتخصيب الدلالة طرحتها نظريات التلقي وقد اعتبر (ايزر) "الفراغات Les vides مفاصل حقيقية للنص لأنها تفصل بين الخطوط العريضة والأفاق النصية، وأنّها في الوقت نفسه تثير التخيل لدى القارئ"⁴⁵ "زبون 1: اقلب هذه الحكايات ، و افتح كتابك على سيرته.

زبون 2 : جفّت قلوبنا يا رجل ، نريد أن نسمع عن البطولات .

زبون 3 : و أخبار الانتصارات .

(...) زبون 1 : اقلب كتابك يا عم موتس ، و افتح على سيرته.

الحكايات : (الصوت الهادئ نفسه)، الحكايات مربوطة بعضها ببعض لا تأتي واحدة قبل الأخرى ، سيرة الظاهر يجيء دورها عندما نفرغ من قصص الزمان الذي بدأنا حكاياته.⁴⁶

من أوضح المشاهد على ذلك: حوار الحكايات مع الزبائن قبل أن يشرع في السرد، حول سيرة الظاهر بيبرس، وحول قصص الزمان، وضرورة التسلسل وعبر هذه الفراغات تتسلّل الدلالات الحافة للسرد غير أنّ المسؤول عنها هنا ليس السارد وإنّما هو القارئ أو المتلقي.

و يصرّ العمّ مؤنس على ضرورة التسلسل و كأنّ السرد معه لا يكون إلّا خطياً فيقول

" زبون 2 : لماذا ينبغي أن ترويهما ؟

الحكايات : لأنها في تسلسل الكتاب هي التي تقود إلى زمن الحكايات. المفرحة ، لكلّ شيء أوان ، سيرة الظاهر بعد قصص هذا الزمان ، لا تخافوا ستأتي سيرة الظاهر و ستسمعونها ، (...) لكن

44 - Gerard Genette, Poétique, ed. seuil, Paris 1972, p.255-256.

45 - قولفوغانغ ايزر، فعل القراءة - نظرية جمالية التجارب. حميد لحميداني، مكتبة المناهل، فاس المغرب،

دت ، ص10.

- ونوس، سعد الله، مغارة رأس المملوك جابر، دار الآداب، مكتبة الأسرة ، بيروت ، 1999 ص5⁴⁶

القصص مرهونة بتسلسلها و أوانها ، لكل قصّة أوان " ⁴⁷ ومع ذلك يبقى صوت =العم مؤنس= صوت السارد الفعّال في عمليّة السرد، وفي بناء الحكاية وتنامي الأحداث ويخلق السارد عبر كثافة الأفعال في صيغة المضارع في جلّ تدخلاته كما يظهر من خلال ملفوظه الأول الذي يفتح به الحكاية :

" الحكواتي : " قال الراوي ، كان يا مكان في قديم الزّمان و في سالف العصر و الأوان ، خليفة في بغداد ، (...) النّاس يبدون... يبيتون ، يستيقظون... ينفجر ... لا يعرفون... " ⁴⁸ يخلق حاضرا فيصبح سرده وكأنّه تجسيم لواقع معيشي أو هو يعيد تشكيل الماضي الآن و هنا رغم أنّ الحكاية المسرودة ضاربة في القدم..

إن القراءة / المقاربة البنيوية للسرد في نصّ " الأيام المخمورة" لسعد الله ونوس، لا تصل بنا إلى مقصدية الكاتب في رواية الكثير من الحكايات، ونسج خيوط السرد في نصّ مسرحي، ونكتفي للتدليل على ذلك بقصّة سناء.

ففي هذا النص المسرحي ظاهر الخطاب أو الدلالة القريبة في هذه القصّة هي قصّة امرأة تحسّ أنّ زوجها كلّما عاشرها بدا وكأنّه يغتصبها فهو لا يظهر رجولته إلّا من خلال ذكورته فيمعن في امتنانها، وهذا ما جعلها تحسّ بالنفور بل والاشمئزاز، هذا ما يمكن أن نقف عنده القراءة البنيوية لكن المعنى البعيد لا يصل إلينا إلّا عندما نخرج من النصّ، ونقرؤه بمعطيات واقعية (واقع المرأة الشرقية آنذاك هيمنة الرجل، وتسّلطه على المرأة) أو معطيات تاريخية لها علاقة باحتلال (اغتصاب)، المستعمر الفرنسي لبلاد الشام وتأتي خاتمة المشهد لتؤكد هذه القراءة، فيربط الكاتب أيام سناء التي يغتصبها زوجها كلّ ليلة، بأيام الشام زمن السيّد دي مارتل المفوّض السامي هذه اللعبة السردية لا يمكن أن ندرك أبعادها ودلالاتها إلّا عبر قراءة تداولية للخطاب المسرود، وعبر تنزيل النصّ ضمن بيئة حضارية، وسياق تاريخي، وكلّ هذا ترفضه البنيوية في مقاربة النصوص لكن هو من صميم المقاربة التداولية

2-3 وجهة النظر

لا شكّ في أنّ هذا المفهوم من أكثر المفاهيم شيوعا في الدراسات السردية إلى جانب مفهوم التبتير (focalisation) ومفهوم الرؤية (vision)، في المقابل لم يكن كذلك في دراسة النصوص

- نفسه ، ص 6 47

- نفسه ، ص 7 48

المسرحية، وهو ما جعل عددا من الدارسين ومنهم آلان راباتال (A.Rabatel) يتساءل "هل توجد وجهة نظر في النصوص المسرحية؟"⁴⁹ وما الفرق بين وجهة النظر في النصوص المسرحية ووجهة النظر في النصوص القصصية؟

جاء مثلا في معجم ديكرودودوروف "أن لفظ الرؤية Vision أو وجهة النظر ترتد إلى علاقة السارد بالكون الذي يمثله [داخل القصة] (...)" وأن الرؤية السردية هي [رؤية] متأصلة في كل خطاب تمثيلي⁵⁰ وهذا في نظرنا من مبررات الحديث عن وجهة النظر في الخطاب المسرحي ، وعليه نرى أن مقارنة هذا المفهوم وتطبيقه على النص المسرحي قد يفتح لنا أبوابا إضافية في قراءة النص وتأويله لاسيما أنه " مصطلح عابر للأجناس الفنية، إذ يمكن التماسه كعابر (كذا) للنوعية في فنون عديدة قوليه- تشكيلية- مسرحية- سينمائية الخ... ويتخذ هذا المفهوم أشكالا عدة تتناسب وطبيعة الفن الذي ينتهي إليه"⁵¹

إن الحديث عن وجهة النظر في الخطاب المسرحي إذن قد يبدو غريبا لأنه مصطلح ارتبط بالنص القصصي عموما، لكن انفتاح النص المسرحي على غيره من فنون القول، وتنوع المقاربات وجعل هذا المفهوم يتسرب إلى المقاربات النصية المسرحية، فقد بات الحديث عن وجهات النظر، في الخطاب المسرحي طريقة أو آلية يستعملها المرسل لتنوع القراءة، وتوسيع دائرة الدلالة في هذا الخطاب عند المتلقي، بالإضافة إلى كونها (وجهة النظر) يمكن أن يسرب عبرها المؤلف موقفا يتبناه أو تصورا يؤمن به يرتبط بموضوع أو شيء أو شخصية، أو فكر يعبر عنها ذلك المنجز اللساني. وتتغير وجهة النظر في أي خطاب بتغير المتغيرات النصية، وتنوع السارد، وكل تحول من وجهة إلى أخرى يمثل قراءة جديدة للخطاب مغايرة للأولى، وبالتالي تمثل توسعا في دلالة الخطاب، وإنتاج المعنى. كما في مسرحية مغامرة رأس المملوك جابر، حيث ، وهي تقيه تغريبية ترتد إلى المسرح البريشي.[ردود أفعال الزبائن في هذه المسرحية تعبر عن وجهات نظر متبانية تتبناها بتوجيه من الشخصيات في المسرحية الأصلية أو بتوجيه من الراوي العم مؤنس]

⁴⁹ Alain RABATEL , le problème du point de vue dans le texte de théâtre, pratique N°119/120, -

décembre 2003 P7

⁵⁰ Oswald dicrot et T.Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage ,ed Seuil , - Paris 1972 P411

⁵¹ عبد العزيز موافي، الخطاب ووجهة النظر مفهومان أساسيان في نظرية السرد، ضمن أسئلة السرد الجديد، مرجع سابق ص 320.

و من ابرز الأمثلة ما تنغلّق به المسرحية في مشهد المعاناة التي تنقل من صفحات التاريخ لكتّها تعبر عن وجهة نظر آنية فالملفوظ جاء على لسان الشخصية لكنّ نفس المؤلف و وضع بغداد زمن التأليف يتسرّب إلى النصّ

-الجميع : (معا إلى الزبائن والجمهور) " من ليل بغداد العميق نحدثكم . من ليل الويل والموت والجثث نحدثكم . تقولون .. فخار يكسر بعضه .. ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا .. لا أحد يستطيع أن يمنعكم من أن تقولوا ذلك . لكل واحد رأي وتقولون .. هذا رأينا لا أحد يستطيع أن يمنعكم من أن تقولوا هذا رأينا . لكن إذا التفتّم يوما ، ووجدتم أنفسكم غرباء في بيوتكم .."⁵²

أمّا في مسرحية عز الدين المدني* "ثورة الالزنج" أو "ديوان الزنج" فإنّ التوجيه يكون من المؤلف الذي . يصبح طرفا في الحوار، ويستحيل إلى شخصية من شخصيات المسرحية ولكن ليعبر عن رواية أو تصوّر أو قراءة معاصرة ويوجه إليها القارئ من خلال تدخله المباشر في العرض، أو النصّ الدرامي. كما في هذا المقطع الذي يبدو كأنه جزء من خطاب قصصي ، إنّه صوت المؤلف يوجّه القارئ إلى قراءته لثورة الزنج و التي يدّعي أنّها موضوعية و بالتالي فهو ليس مسؤولا عن أيّ انحراف في القراءة أو التأويل .

" : هكذا قرأت تاريخ ثورة الزنج، وإني لم أعلق عليها تعليقا شخصيا فكلّ قصد ظاهر أو خاف لا وجود له إلّا في ذهن المتفرّج، وإني بريء من كلّ زنج، إني بريء من كلّ تحريف، إني بريء من كلّ تأويل"⁵³

ولعل خاصية الخضاب المسرحي الحوارية هي التي تجعل البحث في وجهة النظر باعتبارها آلية من آليات إنتاج الدلالة وتوسيع المعنى أمرا مشروع، وهذا ما يعرف يعرف بالمنظور أو زاوية النظر، أو البؤرة أو رؤية الراوي، وإذا كان حضور الراوي في هذا الخطاب محدودا، باستثناء الشكل الملحمي فإنّ هذا يعني أن نبحث عن وجهة النظر أو المنظور في سياقات أخرى من أبرزها.

* وجهة نظر الراوي وهذا المتعارف عليه

* وجهة نظر الشخصيات من خلال حواراتها

* وجهة نظر المتلقى باعتباره مستقبل هذا الخطاب، والذي سيجد نفسه مدفوعا إلى تبني فكرة أو رأي أو موقف تدافع عنه الشخصية فيتبنى بذلك وجهه نظرها، بل ويتفاعل معها من خلال إظهار

⁵²-- ونوس، سعد الله، مغارة رأس المملوك جابر، نفسه ص 319

⁵³-- عز الدين المدني، ديوان الزنج، نفسه، ص 94

تأثيره، ولعلّ أوضح النماذج المسرحية التي يظهر فيها هذا التوجه تلك التي تطبق تقنية المسرح داخل المسرح. (théâtre dans le théâtre)⁵⁴

خاتمة

ما من شك في أن الترحال عبر نظرية القراءة، والانتقال من مقاربة إلى أخرى لا يكون بالضرورة وليد أزمات تمر بها هذه النظريات، لكن الأمر في بحثنا هذا مغاير، ذلك أن الارتحال من البنيوية إلى التداولية قد فرضته عوامل متعددة، منها ما يتعلق بأزمة المقاربة البنيوية نفسها ومنها ما يتعلق بخصوصية النص المسرحي موضوع المقاربة.

فقد انتهينا إلى أن التحليل البنيوي يعتمد بشكل أو بآخر إلى إقصاء المجتمع، والمرجع، والمعارف الإنسانية على اختلاف مصادرها و الذات المسؤولة عن المنجز اللغوي، لتعلن البنيوية صراحة عن موت المؤلف، فانغلقت بذلك هذه المقاربة على النص وحده ما جعل منها مقاربة سكونية عاجزة عن التفاعل مع حركية الخطاب والعوامل الخارجية التي تتحكم في إنتاجه، فكان أن غاب من مجال اهتمامها جانب الدلالة أو المعنى.

وهكذا بدأت البنيوية في الأفول وحملت في ذاتها بذور انهيارها. وطرحت التداولية نفسها البديل الأمثل الذي أفاد من ثغرات البنيوية وأخطائها. وقد وجدت التداولية في النص المسرحي النموذج (modele) الذي أثبتت به قدرتها على التفكير في مختلف القضايا التي يثيرها الخطاب والاطراف المتدخلة فيه، والسياقات المنتجة له، وهو ما جعل دومنيك مانغونو (Dominique Maingueneau) يرى أن الخطاب المسرحي مهتئ " لاستيعاب مقولات هذه النظرية، والعكس صحيح فيقول " أردنا أن نستعمل التداولية لتحليل التلفظ المسرحي فاكشفنا أن التداولية تفكر في اللغة عبر هذا التلفظ المسرحي نفسه"⁵⁵

⁵⁴- للتوسّع في هذا الموضوع يمكن العودة إلى بحثنا الموسوم بـ " السرد ووظائفه في النص المسرحي المعاصر،

المصادر عن دار زينب للنشر ط 2023 و فيه تفصيل للبحث في وجهة النظر في الخطاب المسرحي من منظور

تداولي

55- [Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, ed Nathan university, Paris](#)

2001

وما يمكن أن نؤكد عليه في خاتمة هذه الورقة أن الارتحال من نظرية إلى أخرى وتحديد التحول من البنيوية إلى التداولية قد فرضه قصور النظرية الأولى عن الوصول إلى مقاصد النص وإبعاده، ومع كل ذلك فإن هذا الارتحال من البنيوية إلى التداولية لا يعني بالضرورة موت الأولى واندثارها نهائياً.

قائمة المصادر والمراجع.

1- المصادر:

- ❖ + ونّوس، سعد الله ، مغامرة رأس المملوك جاير ، دار الآداب د ت .
- ❖ + ونّوس ،سعد الله ، الأيام المخمورة ، دار الأهالي للنشر ط1، 1997.
- ❖ + المدني ،عزالدين ، ديوان الزّنج ، دار اليمامة ، د ت.

2- المراجع العربية

- ❖ ++ ابن منظور، لسان العرب دار صادر بيروت ج 1، ط 1 1955
- ❖ +أبوين جونثلين أنجل، السارد في المسرح، ثم خالد سالم، أكاديمية الفنون، القاهرة، 2003،
- ❖ + -الأعسم، باسم التلقي في الخطاب المسرحي، مجلة البحرين الثقافية العدد 25 2002
- ❖ + الانصاري حسن ، الكتابة في درجة المسرحة موقع www.MASRAH.EOUN.com
- ❖ + بول جورج ، التداولية، تراقصي العتاي، دار الاحسان الرباط ط 1 2010
- ❖ + بوعلي ياسين ، سعدالله ونوس في آخر مسرحياته الأيام المخمورة، الجديد في عالم الكتب والمكتبات العدد 16 سنة 1997
- ❖ + بارت رولان ، لذة النص، نر صفا فؤاد وسيحاز الحسين دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1 1988
- ❖ + بارت، رولان نقد وحقيقة، تر ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسرين الدار البيضاء ط1، 1985
- ❖ + بوقمرة، عمر ، التحول اللساني من البنيوية إلى التداولية، الصوتيات، العدد التاسع، جانفي 2011،
- ❖ + بوكروج ، مخلوف ، السرد في المسرح، فضاء المسرح، ص3، موقع المدار.

- ❖ + الحجاج رياض ، من خصائص الخطاب ووظائفه في الكتابة المسرحية، دار زينب للنشر والتوزيع تونس، ط1 2023
- ❖ + الخبو محمد ، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة دار صامد للنشر والتوزيع ط1 تونس 2003
- ❖ + - الخبو محمد ، قراءات في القصص، مكتبة علاء الدين، صفاقس ط 1 ماي 2003
- ❖ + - الخولي محمد علي ، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن ط 1، 2000
- ❖ + - رشدي رشاد، مقالات في النقد الأدبي مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1962
- ❖ + - ظافر الشهري ، عبد الهادي بن ، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية، تداولية دار الكتاب الجديد المعتمدة، لبنان، ط1 2004
- ❖ + - العمامي محمد نجيب وابن خود نورالدين، النص السردس وقضايا المعنى، دار محمد علي للنشر، ط1.
- ❖ + عزام محمد ، مسرح سعد الله ونوس بين التوظيف التراثي والتجديد الحدائي، دار علاء الدين للنشر ط 1 2003
- ❖ + - عياشي، منذر ، الكتابة الثابتة وفتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، ط 1 1998
- ❖ + - الغريبي خالد، منزلة الحوار في تاريخ الظاهرة المسرحية، الحياة الثقافية، تونس العدد 188 ديسمبر 2007
- ❖ + ماري إلياس، أزمة المسرح مجلة البحرين الثقافية، العدد 25 2002
- ❖ + - ماضي شكري عزيز، محاضرات في نظرية الأدب دار البعث، ط1، 1984
- ❖ + موسوعة اللغة العربية، الدرر السنية الموقع w.w.dorar.net
- ❖ + - المستدي، عبد السلام قضية البنيوية (دراسة ونماذج) دار آمنة، تونس ط 1، 1991
- ❖ + - مكاوي عبد الغفار المسرح الملحمي، مؤسسة هنداوي، 2018
- ❖ + - نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب أهم المبادئ والإجراءات بيت الحكمة ، الجزائر ط 1 ، 2009
- ❖ + الواد، حسين من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل مجلة فصول.. مج1، العدد1 و2 ،

3- المراجع الأجنبية.

- COUPRIE Alain , , Le Théâtre, texte, dramaturgie histoire, éd. Nathan, Paris 1995+
- -Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, ed Nathan university, Paris 2001
- Genette, Gerard Poïetique, ed. seuil, Paris 1972, p.255-256.
- -Oswold dicrot et T.Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage ,ed Seuil , Paris 1972
- RABATEL Alain , **le problème du point de vue dans le texte de théâtre** pratique N°119/120, décembre 2003
- Pavis Patrice. Déc du théâtre ed social, paris 1980
- bersfeld Anne . Lire le théâtre , ed sociale , 1977